مصنّفات اللغويين العرب في خَلق الإنسان

الدكتور إحسان النص

بلغ العرب من الدقة واستقصاء التفصيلات في تسمية كل مايتصل بخلق الإنسان مالم تبلغه أي من الأمم الأخرى. وغاية هذا البحث بيان مدى دقة العرب في تسمية أعضاء الإنسان واستيفائها جميع مافي جسمه من أعضاء ظاهرة وباطنة. وكذلك لفت النظر إلى هذه المباحث كي يفيد منها الباحثون في جسم الإنسان في التماسهم الألفاظ التي وضعها العرب لأعضائه وكذلك يفيد منها من يودّون تعريب الأسماء الأجنبية المتصلة بجسم الإنسان.

نجد في اللغة العربية لكل جزء من أجزاء جسم الانسان ولكل عضو فيه – مهما صغر – اسماً خاصاً به، وقد يكون له أكثر من اسم، ونجد فيها كذلك ألفاظاً لكل مايعتري جسم الإنسان من آفات أو عاهات أو مغايرة للطبيعة واختلاف في الخلق.

ولا تقتصر هذه الدقة في تسمية أعضاء الإنسان على الأعضاء الظاهرة منه، بل تتناول كذلك الأعضاء الباطنة، من دم وعظام وشرايين وأوردة وأعصاب وغير ذلك، على أن عناية العرب بالأعضاء الظاهرة كانت أوفى من عنايتهم بما هو في داخل جسم الإنسان.

وقد حظي موضوع خلق الإنسان بعناية اللغويين العرب فألفوا فيه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مايزيد على خمسين مصنّفاً، ومن كتب اللغة مالم يكن كله وقفاً على خلق الإنسان بل أُفرد له باب أو أكثر من أبواب الكتاب.

وقد بدأ التأليف في خلق الإنسان منذ أواخر القرن الثاني للهجرة، وأقدم من ذكرهم النديم وياقوت والقفطي وابن خلّكان ممّن لهم كتب مفردة في خلق الإنسان على ترتيب سني الوفاة **أبو مالك عمرو بن كركرة** المتوفى سنة ١٨٢ للهجرة، **وأبو ثروان العكلي** المتوفى سنة ٢٠٠هـ ، واسم كتابه في بعض النسخ «خلق الإنسان» وفي بعض آخر: «خلق الفرس»، **والنَّضْر بن شُميل** المتوفى سة ٢٠٣هـ، **ثم أبو عمرو الشيباني** إسحاق بن مرار المتوفى سنة ٢٠٦هـ، **ومعاصره قُطْرُب** واسمه محمد بن المستنير المتوفى كذلك في سنة ٢٠٦هـ، **ولأبي عبيدة** معمَر بن المثنّى المتوفى سنة ٢١٠هـ كتاب في خلق الإنسان، وفي السنة عينها يتوفى عالم آخر له كتاب في خلق الإنسان هو **لُغدة الأصفهاني**. وممن ألف كذلك في هذا الموضوع **نصر بن يوسف** صاحب الكسائي المتوفى سنة ٢١٢هـ **وأبو زياد الكلابي** يزيد بن عبد الله المتوفى سنة ٢١٥هـ. وألف فيه كذلك **الأصمعي** عبد الملك بن قُريب المتوفى سنة ٢١٤، وكتاب الأصمعي من الكتب التي سلمت لنا، ولمعاصره **أبي زيد الأنصاري** المتوفى سنة ٢١٥ كتاب في خلق الإنسان .

ويتوالى التأليف في خلق الإنسان بعد ذلك، وممن ألفوا فيه أبو عثمان الضرير **سعدان بن المبارك** المتوفى سنة ٢٢٠هـ، **وأبو محلّم الشيباني** محمد بن سعد المتوفى ٢٤٨هـ، **وأبو حاتم السجستاني** سهل بن محمد المتوفى ٢٤٨هـ، **وأبو محمد ثابت بن أبي ثابت** المتوفى سنة ٢٥٠هـ، **وابن قتيبة** عبد الله بن مسلم المتوفى سنة ٢٧٦هـ، وأبو طالب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المفضّل بن سلمة المتوفى سنة ٢٩٠، **وأبو محمد القاسم بن محمد بن بشّار الأنباري** المتوفى سنة ٣٠٥هـ، **وأبو موسى الحامض** سليمان بن محمد المتوفى كذلك سنة ٣٠٥هـ (لم يذكره النديم وذكره القفطي) وأبو اسحاق الزجّاج إبراهيم بن السَريّ المتوفى سنة ٣١١ هـ، وداود **بن الهيثم** بن اسحاق أبو سعد التنوخي الأنباري توفي سنة ٣١٦ (ذكره ياقوت) وأبو بكر محمد بن عثمان المعروف **بالجعد الشيبانيّ** النحويّ المتوفى سنة نيف وعشرين وثلاثمئة (ذكره ياقوت)، **وأبو الطيب النحوي** محمد بن أحمد المعروف بالوشّاء المتوفى سنة ٣٢٥هـ، **وابن الأعرابي** أحمد بن محمد بن زياد المتوفى سنة ٣٤٠هـ، **وأبو علي القالي**، إسماعيل بن قاسم المتوفى سنة ٣٥٦هـ، **وأحمد بن فارس** المتوفى سنة ٣٩٥هـ.

وقد اتّصل التأليف في خلق الإنسان بعد النديم المتوفى سنة ٣٨٠هـ، وممن ألفوا فيه **يوسف بن عبد الله الزجَاجي** المتوفى سنة ٤١٥هـ، ومحمد بن **عبد الله الخطيب الإسكافي** المتوفى سنة ٤٢٠هـ، **ونجم الدين الغزنوي** محمد بن أبي الحسن المتوفى سنة ٥٥٠هـ، وأبو عبد الله **الأزدي القرطبي** محمد بن عيسى المتوفى سنة ٦٢٠هـ، **ورضي الدين الصَغاني** الحسن بن محمد المتوفى سنة ٦٥٠هـ، وآخر من ألّف في هذا الموضوع **جلال الدين السيوطي** المتوفى ٩١١هـ.

وثمة مصنّفون لم يفردوا لموضوع خلق الإنسان كتاباً مستقلاً، وإنما أفردوا له باباً أو أكثر في أحد مؤلفاتهم، ومن أقدم من وقف باباً أو أكثر في أحد كتبه على خلق الإنسان من اللغويين العرب، **أبو عُبيد القاسم بن سلاّم** المتوفى سنة ٢٢٤هـ، فقد استهل كتابه الموسوم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

«بالغريب المصنّف» بباب عنوانه: «باب تسمية خلق الإنسان ونعوته»، وقد عرض فيه لأسماء أعضاء الإنسان وما يتصل بالعين والدموع، ولما يكون في خَلق الإنسان من طول أو قصر ونحو ذلك، وقد استمدّ مادة هذا الباب من كتب اللغويين الذين سبقوه، ومما سمعه منهم، وجُلّ ماأتى به مستقى من كتاب الأصمعي في خلق الإنسان، وأخذ كذلك عن أبي عمرو الشيباني والكسائي وخلف الأحمر.

ومنهم ابن السِّكّيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المتوفى سنة ٢٤٤هـ او سنة٢٤٦هـ، فقد تناول خلق الإنسان في كتابه « الألفاظ» في أبواب عدة منه. وقد تناول ابن قتيبة هذا الموضوع في أبواب من كتابه «أدب الكاتب» فضلاً عن كتابه المفرد خلق الإنسان .

ومنهم **كُراع النمل** علي بن الحسن المتوفى بعد سنة ٣٠٩هـ، فقد تناول في كتابيه «المنتخب المجرَّد» و «المنجَّد» الأسماء المفردة في خلق الإنسان.

ونحو هذا الصنيع نجده في كتاب «التلخيص في أسماء الأشياء» **لأبي هلال العسكريّ** الحسن بن عبد الله المتوفى بعد سنة ٣٩٥. فقد وقف الباب الأول من كتابه على خلق الانسان وأفرد لكل عضو باباً أو أكثر .

وخصّ **أبو منصور الثعالبي** عبد الملك بن محمد المتوفى سنة ٤٢٩هـ خلق الإنسان بأبواب من كتابه «فقه اللغة» ثم وقف الباب الخامس عشر كله على خلق الإنسان .

على أن أوسع هذه الكتب وأكثرها تفصيلاً في ذكر خلق الإنسان إنما هو كتاب «المخصَّص» **لابن سيده الأندلسي** علي بن اسماعيل المتوفى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سنة ٤٥٨هـ، فقد بدأ كتابه الضخم بهذا المبحث واستغرق منه ماينا هز السفرين، وسوف أفصل القول فيه بعد.

ومن هؤلاء المصنّفين شهاب الدين **أحمد بن عبد الوهاب النُويري** المتوفى سنة ٧٣٣هـ، فقد تناول بحث خلق الإنسان في السفر الثاني من موسوعته الضخمة «نهاية الأرب في فنون الأدب» وتحدث فيه عن أعضاء الإنسان وأوصافها وما يعتريها من آفات وأعراض .

وسوف أتحدث الآن عن أربعة من الكتب المفردة في خلق الإنسان، مما انتهى الينا، وهي على الترتيب: كتاب الأصمعي، وكتاب ثابت بن أبي ثابت، وكتاب الزجّاج وكتاب أبي الحسن أحمد بن عبد الرحمن، ثم أقف عند الأبواب التي تناول فيها ابن سيده بحث خلق الإنسان .

كتاب خلق الإنسان للأصمعي

المؤلف – لاحاجة إلى الإفاضة في ترجمة الأصمعي لشهرته، فهو عبد الملك بن قُريب، نسب إلى جده أصمع، من بني مالك بن أعصُر بن سعد بن قيس عيلان، وهم بنو باهلة، فهو عربي قيسي صريح النسب، كان اماماً في النحو والعربية والأخبار، روت عنه طائفة من الرواة وعلماء العربية، منهم أبو عبيد القاسم بن سلاّم، وأبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي. كان منزل الأصمعي بالبصرة، في أيام هارون الرشيد، وكان يحفظ كماً ضخماً من أشعار العرب وأخبارهم، اتّصل بالرشيد ولازمه وكان الرشيد يسأله عن أمور في اللغة والأدب فيجيبه عنها، وكان يطرفه بالنوادر والأحاديث الممتعة، فكان الرشيد لذلك حريصاً على أن يجالسه. ثم استدعاه المأمون بعد ذلك من البصرة،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فاعتذر إليه بكبر السنّ والضعف، فكان المأمون يجمع المشكل من المسائل فيسيره إليه فيجيبه عنه. لم يتفق من ترجموا له على تاريخ وفاته بين سنتي ٢١٣و ٢١٧ للهجرة .

الكتاب

بدأ الأصمعي كتابه بذكر مايتّصل بحمل المرأة وولادتها والمولود، ثم ذكر مايقال للشخص في مختلف أطوار عمره، وما يطلق على الشخص من أسماء، ثم أخذ يتحدث عن أعضاء الإنسان، عضواً عضواً، بادئاً بالرأس وما يحتوي عليه من جلد وشعر وعينين وأنف وفم، وما يحتوي عليه الفم من أسنان ولثة ولسان، ثم انحدر إلى الحُلقوم والعنق والكتفين فالذراعين حتى استوفى أعضاء الجسم كلها. ولم يكتف بالأعضاء الظاهرة بل تحدّث كذلك عن الأعضاء الباطنة كالمعدة والكبد والطحال. وكان الأصمعي يستعين في حديثه عن خلق الإنسان بأبيات من الشعر .وقد استغرق الكتاب كله خمساً وعشرين صفحة من القطع المتوسط .

وهذا الكتاب على صغر حجمه له شأن كبير في موضوع خلق الإنسان لأن كل من جاؤوا بعده استقوا منه.

نشره المستشرق أوغست هفنر مع مجموعة من الكتب اللغوية وأطلق عليها اسم «الكنز اللغوي». وطبع الكتاب بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٠٣م .

نموذج منه

ص ١٩١ **الأسنان والأضراس:** «في الفم الثنايا والرَّباعيات والأنياب والضواحك والنواجذ. فالضواحك أربعة أضراس من ذلك تلي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأنياب، إلى جنب كلّ ناب من أسفل الفم وأعلاه ضاحك، وأمّا الأرحاء فهي ثمانية أضراس من كل شقّ من أسفل الفم وأعلاه. قال الراعي يصف السيوف:

وبيضٌ رقاقٌ قد علتهنّ كَبْرةٌ يداوَى بها الصادُ الذي في النواظرِ
اذا استُكرهت في مُعظم البيض أدركتْ مراكزَ أرحاء الضُروس الأواخر

والنواجذُ أربعة أضراس اللواتي هنّ أواخرُ الأضراس من كلّ شِقّ، من أسفل ومن أعلى يلاحظ في هذا النص أن الأصمعي لم يذكر في تعداده الأسنان في أول النص: الأرحاء، ثم تحدث عنها بعد ذلك، والظنَ أن في النص المنقول نقصاً، يدلّ عليه ماسأثبته من كلام الأصمعي في حديثي عن كتاب ثابت بن أبي ثابت .

* * *

كتاب «خلق الإنسان» لثابت بن أبي ثابت

المؤلف : أبو محمد، ثابت بن أبي ثابت، واختُلف في اسم أبيه سعيد أو محمد. كان ثابت من أصحاب أبي عُبيد القاسم بن سَلاّم، وكان أفضل من أخذ عنه. كان يلقى فصحاء العرب فيأخذ عنهم، وأخذ النحو عن كبار النحاة واللغة عن اللغويين البارزين، منهم: شيخه أبو عبيد، وعلي بن المغيرة الأثرم، وسلمة بن عاصم الكوفي، وابن الأعرابي، والأصمعي. ولم تذكر المصادر التي ترجمت له أخباراً وافية عن حياته، وذكروا أن له من المصنفات. كتاب «الفَرْق» وكتاب «الزَّجْر» وكتاب «خَلق الفَرَس» وكتاب «الوحوش» وكتاب «مختصر العربية» وله كتاب في العروض وكتاب «خلق الإنسان» الذي أتحدث عنه. توفي سنة ٢٥٠هـ.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكتاب

كتاب ثابت بن أبي ثابت هو أوسع وأشمل ماانتهى الينا من الكتب في خلق الإنسان. وقد ذكر المؤلف في مقدمته من أخذ عنهم وما أخذه عنهم قال: «قال ثابت بن أبي ثابت: هذا كتاب خلق الإنسان، رويناه عن أبي عُبيد، والأثرم، وسَلمة بن عاصم، وأبي نصر، وغيرهم (أبو نصر هو أحمد بن حاتم الباهلي)، وابن الأعرابي، والأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، وعن الكِلابيين، وفي كتاب كل رجل ممن سَمّينا زيادة على كتاب بعض. وقد جمعنا ذلك، ولخّصناه وأثبتناه في مواضعه، وإن جاء في كتابنا شيء عن غير هؤلاء الذين سمَّيناهم. بيّناه وحكيناه عن أصحابه إن شاء الله.» . والمؤلف أمين في نقله، يذكر في صدر كلامه اسم من أخذ عنه وقد سار على نهج الأصمعي فذكر في أول كتابه الحمل والولادة، على أنّه فصّل في هذا الباب وأضاف إلى ماقاله الأصمعي إضافة يسيرة، واستشهد بالشعر، ولم يأخذ عن الأصمعي وحده في هذا الباب وإنما أخذ أيضاً عن شيخه أبي عبيد، وأضاف إلى ماسمعه منهما بعض ماسمعه من غيرهما. ثم عقد باباً لكل عضو من أعضاء الإنسان، مقتفياً نهج الأصمعي في البدء بالرأس ثم بما دونه من الأعضاء الظاهرة والباطنة، ولكنه أضاف شيئاً كثيراً إلى ماذكره الأصمعي، أخذه عن علماء اللغة ومنهم شيخه أبو عبيد، وثعلب، والأثرم، وأبو زيد، وسائر من ذكرهم في مقدمته، فجاء كتابه أوسع مصدر تناول خَلق الإنسان. وقد أورد شواهد كثيرة من الشعر والآيات القرآنية والأحاديث النبوية. وفضل المؤلف في كتابه هذا أنه جمع ماوجده في كتب من سبقوه وماسمعه منهم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حقق الكتاب الأستاذ عبد الستار فراج، وطبع في الكويت عام ١٩٦٥م.

نموذج من كتابه ص ١٦٥

لننظر ماجاء فيه في باب الأسنان لنوازن بين ماذكره الأصمعي وما ذكره ثابت .قال الأصمعي: «في الفم الأسنان: الثنايا، والرَّباعيات، والأنياب، والضواحك، والطواحن والأرحاء، والنواجذ. وهي ست وثلاثون سناً من أسفل وفوق، أربع ثنايا: ثنيتان من فوق وثنيتان من أسفل ثم يلي الثنايا أربع رَباعيات – مخففة الياء – ثنتان من فوق وثنتان من أسفل، ثم يلي الأنياب الضواحك، وهي أربعة أضراس، إلى كل ناب من أسفل الفم وأعلاه ضاحك، ثم تلي الضواحك الطواحن والأرحاء، وهي ستة عشر، في كل شق ثمانية، أربعة من فوق وأربعة من أسفل. قال الراعي يصف السيوف :

إذا استُكرهت في معظم الرأس أدركتْ مراكزَ أرحاء الضُّروس الأواخر

ثم يلي الأرحاء النواجذ، أربعة أضراس، وهي آخر الأضراس نباتاً، والواحد ناجذ».

نلاحظ في هذا النص أن ما أثبته ثابت نقلاً عن الأصمعي أتمُّ مما وجدناه في كتاب الأصمعي، ويبدو أن محقق كتاب الأصمعي أسقط بعضاً من النص الذي تناول الأسنان، فلم نجد في نص الأصمعي ذكراً للأرحاء، وفي التفصيل أهمل ذكر الثنايا والرباعيات والأنياب. على أن في نص ثابت خطأً علمياً فقد جعل عدد الأسنان ستاً وثلاثين سناً، والصواب اثنتان وثلاثون سنّاً.

* * * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كتاب خَلق الإنسان للزَجَّاج

المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن السَّريّ بن سَهل الزَجّاج. كان في صدر شبابه يعمل في خَرط الزجاج، فنُسب إليه، ثم انصرف إلى النحو والأدب، فأخذهما عن أكابر علماء البصرة، ولازم شيخه أبا العبّاس المبرّد، وأخذ عن ثعلب ولكنه كان يناظره ويذكر له مآخذ وجدها في كتاب ثعلب «الفصيح». وحين طلب عبيد الله بن سليمان بن وهب، وزير المعتضد العباسي، مؤدّباً لولده القاسم أشار عليه المبرّد باصطفاء الزجّاج لهذا الأمر فطلبه الوزير فأدّب ابنه حتى ولي الوزارة بعد أبيه فجعله القاسم من كُتّابه، وأباح له أن يتقاضى جُعلاً عن الرّقاع التي يدفعها إليه فيوقّع له فيها، فجنى من وراء ذلك مالاً عظيماً. وكان يؤدي إلى المبرد كلَّ يوم درهماً إلى آخر حياته. توفي سنة احدى عشرة وثلاثمئة أو بعيد ذلك. ذكر النديم مصنفاته ومنها: كتاب «معاني القرآن» و«الاشتقاق» و«القوافي» و«العروض» وكتاب «خَلق الإنسان» وغيرها.

الكتاب

كتاب الزجَّاج في خلق الإنسان صغير الحجم، لا تتجاوز صفحاته الخمسين. وقد سار فيه على نهج الأصمعي في البدء بذكر الرأس ثم ما دونه من الأعضاء، وجعل لكل عضوٍ باباً، ولكنه أوجز فيه القول ولم يستشهد بالشعر، وجُلّ ما فيه مأخوذ من كتاب الأصمعي. وكتاب ثابت أوسع منه وأكثر استيفاء، فالفائدة المتحصلة من كتاب الزجّاج لاتكاد تذكر إذا ما قورن بالكتب الأخرى في موضوعه.

نشر الكتاب أولاً في مجلة المجمع العلمي العراقي ثم أخرج في كتاب مستقل حققه الدكتور إبراهيم السامرّائي ونشر ببغداد وطبع بمطبعة المجمع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العلمي العراقي سنة ١٩٦٣م.

وهذا نموذج منه في الكلام على الأسنان:

«ففي الفم الأسنان والأضراس، فجملة الأسنان والأضراس اثنان وثلاثون من فوق ومن أسفل يقال لها: الثنايا والرَّباعيات والأنياب والضواحك والأرحاء والنواجذ. فالثنايا أربع اثنتان من فوق واثنتان من أسفل، ثم يليهنّ أربع رَباعيات، اثنتان من فوق واثنتان من أسفل، ثم يلي الرباعيات الأنياب وهي أربعة، ثم تلي الأنياب الأضراس، وهي عشرون ضرساً من كل جانب من الفم، خمسة من أسفل وخمسة من فوق، ثم الضواحك وهي أربعة أضراس مما يلي الأنياب، إلي جنب كل ناب، من أسفل الفم وأعلاه، ضاحك، ثم بعد الضواحك الطواحن، ويقال لها الأرحاء، وهي اثنا عشر طاحناً من كل جانب ثلاثة، ثم يلي الطواحن النواجذ وهي آخر الأسنان نباتاً، وآخر الأضراس من كل جانب من الفم، واحد من فوق، وواحد من أسفل.»

ونلاحظ أن في هذه النص اضطراباً في تعداد الأسنان فقد ذكر أن عدد الأضراس عشرون، ثم قال ان في كل جانب من الفم خمسة ثم قال : «ثم الضواحك الى آخر النص» والصواب أن الضواحك والأرحاء والطواحن هي في عداد الأضراس ومجموعها عشرون ضرساً .

* * *

كتاب خَلق الإنسان لأبي محمد الحسن بن أحمد

المؤلف: لم يعرف عن مؤلف هذا الكتاب إلاّ اسمه، فهو أبو محمد الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن، وليس في كتابه ما نستدِلُ به

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على ترجمته أو زمنه. وقد استدل محقق الكتاب، من بعض القرائن، أنه عاش بين نهاية القرن الرابع الهجري وأوائل القرن السابع الهجري، ورجح، من الخط الذي كتبت به مخطوطة الكتاب ومن مقدمة المؤلف، أنه كان أندلسياً أو مغربياً، واستدلّ من تعليقاته أنه كان عالماً باللغة، واقفاً على كتب اللغة العربية التي أُلّفت قبل زمنه:

وأنا أخالف المحقق الفاضل في بعض ما ذهب إليه، فقد ذكر أن آخر من أخذ عنهم المؤلف زمناً هو أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد المتوفى سنة ٣٤٥ هـ، والصحيح أن آخرهم هو ابن خالويه الحسين بن أحمد المتوفى سنة ٣٧٠هـ، وقد ذكره المؤلف في أكثر من موضع في كتابه (انظر مثلاً ص ٩٥، ٩٩، ١٩٥، ٢٢٧، ٢٦٨)، ولهذا الاستدراك شأنه في تعيين زمن حياة المؤلف، فمؤلف الكتاب وجد بعد زمن ابن خالويه أو كان معاصراً له. وأخالف المحقق الفاضل في تعيين الحقبة التي عاش المؤلف في حدودها، فقد استخلص من قرائن استند إليها أنه عاش حياته «في مرحلة ما بين الفترة الممتدة من منتصف القرن الرابع الهجري حتى أوائل القرن السابع» (ص١٥) وهذه حقبة طويلة تمتد إلى مئتين وخمسين عاماً، فهذا التحديد لا يحقق الفائدة المرجوة من تعيين الزمن الذي عاش فيه المؤلف، وأنا أرى أن القرائن التي استند إليها في هذا التحديد هي قرائن ظنيّة غير محققة، والرأي عندي أن المؤلف عاش في حقبة تمتد من أواخر القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن الخامس الهجري، ودليلي على ذلك أن المؤلف لم يذكر أنه أخذ عن أي مصنف بعد ابن خالويه، وقد وجد في القرنين الخامس والسادس علماء صنفوا في موضوع خلق الإنسان، وأشهرهم ابن سيده علي بن إسماعيل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المتوفى سنة ٤٥٨هـ وكتابه «المخصص» أوسع مصدر لبحث خلق الإنسان، فلو أن المؤلف عاش بعد زمنه لكان من المحتم أن يأخذ عنه كما أخذ عن غيره ممن هم أقل شأناً منه في هذا المجال، ولا سيما إذا كان المؤلف أندلسياً حسبما استظهر المحقق، ولهذا أراه توفي قبل أن يؤلف ابن سيده كتابه المخصص.

على أنني لم أوفق إلى الوقوف على ترجمة للمؤلف في المصادر التي بين أيدينا، وقد تبادر إلى خاطري في أول الأمر أن يكون هو الأسود الغُندِ جاني الحسن بن أحمد المتوفى سنة ٤٢٨هـ المعروف بالأعرابي، فاسمه يوافق اسم المؤلف الحسن بن أحمد، وكنيته توافق كنية المؤلف، فكلاهما يكنى بأبي محمد، وقد جرى المؤلف على نهج الغندجاني في ترتيب أبواب كتابه على الحروف، وهي الطريقة التي اتبعها الغندجاني في مصنفاته، ولكنني استبعدت هذا الخاطر لاختلاف اسمي جدَّي المؤلفين، فمؤلف خلق الإنسان اسمه الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن، وجدّ الغندجاني اسمه محمد، فضلاً عن أن مصنفات الغند جاني ليس بينها كتاب عنوانه خلق الإنسان. ويبقى السؤال المعلَّق: لماذا أغفلت كتب التراجم ذكر مؤلف هذا الكتاب مع أن كتابه من خير ما أُلّف في بابه؟.

الكتاب

استهل المؤلّف كتابه بمقدمة ذكر فيها بعد حمد الله والصلاة على نبيّه أنه ألّف كتابه بعقب حوار دار في مجلس أحد الكبراء والذي كان المصنف يألفه، حول عدد أعضاء الإنسان التي تبدأ بحرف الكاف. فقد حثه ذلك على وضع كتاب يذكر فيه أعضاء الإنسان منسوقةً على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحروف، قال: «لَما تأتّى إليَّ، يا أخي، أطال الله في ارتقاء العزّ بقاءك، وأدام في الآلاء السوابغ علياءك، وجعلني من حوادث الزمان فداءك، فرط اعجابك، وشدة شغفك بقول بعض المتأدبين في مجلسك: كم في جسم الإنسان من عضو أول حرف من اسمه كاف؟ وأنه قُطع من حَضره، وحُصِر من سَمعه، حثّني ذلك على أن أضع كتاباً أتحفك به، أذكر فيه كل ما في جسد الإنسان من عضو أول حرف من اسمه (ألف)، وكل ما أوّل حرف من اسمه باء، وتاء، وثاء، ثم نجري على ذلك على ترتيب حروف المعجم إلى آخرها، حتى آتي على سائر الأعضاء الظاهرة والباطنة، وغير الأعضاء، مما يشتمل عليه الجسد ويتعلق به، كالدم والمُخّ والشعر، وما أشبه ذلك ممّا لا ينفكّ منه بشر مخلوق، وأهملت ما سواه ممّا يكون في بعض الناس دون بعض، كالطول والقصر، والنَّجَل والحَوَر، الخ.. »(المقدمة ص ٤٧).

فمنهج المؤلف في كتابه إذن هو ذكر أعضاء الإنسان الظاهرة والباطنة، منسوقة على حروف المعجم، وإغفال ما يكون في بعض الناس من أوصاف يختصّون بها دون غيرهم. وهذا النهج جديد في بابه، فمصنفات خلق الإنسان السابقة كانت تجعل لكل عضو باباً مستقلاً، فجاء كتاب المؤلف مغايراً لما سبقه وكان معجماً مرتّباً على الحروف في أسماء أعضاء الإنسان، وتلك ميزة لهذا الكتاب.

وقد استمد المؤلف مادة كتابه من كتب اللغويين السابقين، وكان أميناً في ذكره أسماء من أخذ عنهم، ومنهم: أبو زيد، والأصمعي، وابن خالويه، وثعلب، وابن السّكّيت، وابن دريد، وأبو عمر الزاهد، وكُراع النمل، وابن قتيبة، والزَّجّاج. على أن ثمة مصنفين وردت أسماؤهم أكثر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من غيرهم، ومن هؤلاء الأصمعي، وأبو عبيد القاسم بن سَلاّم، وابن السكّيت، وكُراع النمل. ولهذا الكتاب ميزة أخرى هي أن المؤلف لم يكتف بالأخذ عن اللغويين العرب بل أخذ كذلك كثيراً عن جالينوس الطبيب الإغريقي المشهور ولكنه لم يذكر اسم الكتاب الذي نقل منه، ولجالينوس كتب في تشريح جسم الإنسان ترجمت إلى العربية ووقف عليها العرب.

والمؤلف يكثر من الاستشهاد بالشعر، صنيع أسلافه، وهذا نص منه في الموضوع الذي ذكرته آنفاً، وهو الأسنان: وهذا الموضوع مفرّق ومرتب على الحروف وفق أسماء الأسنان والأضراس.

يقول في مادة (ضرس): «الضرس واحد الأضراس، وهي ما ولي الأنياب إلى أقصى ما في الفم، وعِدّتها عشرون ضرساً، وهو مذكّر. قال أبو حاتم السجستاني: «وربّما أنّثوه إذا ذهبوا به مذهب السنّ، وكان الأصمعي ينكر تأنيثه، وأُنشد قول دُكَين الراجز:

اجتمع الناسُ وقالوا عُرسُ
ففُقئت عينٌ وطَنَّت ضِرسُ

فقال ـ أي الأصمعي ـ: إنما هو: وطَنّ الضِرسُ، فلم يفهمه الذي سمعه، وجميع ما في الفم من الأسنان مُذكّر إلاّ الثنايا والرَّباعيات، وأنشد أبو زيد في أحجيته:

وسِرب مِلاحٍ قد رأينا وجُوهَه إناثٌ أدانيه ذُكورٌ أواخرُه

السرب: القطيع من الظباء والبقر والغنم والقطا والنساء، وأراد به هنا الأسنان، لأنّ أدانيها الثنايا والرَّباعيات، وهي مؤنثة، وأواخرها الأنياب والضواحك والنواجذ، وهي مذكَّرة.» (ص ١٨٠)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حقق الكتاب الدكتور أحمد خان ونشره معهد المخطوطات العربية وطبع بالكويت سنة ١٩٨٦م.

* * *

وقد رأيت أن ألحق بالكتب المفردة في خلق الإنسان كتاب المخصص لابن سيده لأنه خصه بما يقارب سفرين من كتابه وكان ما أتى به أوسع من أي كتاب في هذا الموضوع.

المخصَّص لابن سيدَه

المؤلف: أبو الحسن، علي بن إسماعيل المعروف بابن سِيده الأندلسي المُرسيّ - نسبة إلى مدينة مُرسية - الضرير، إمام في اللغة والعربية والشعر، أخذ العربية عن أبيه، وعن أبي العلاء صاعد وغيرهما، وكان آية في قوة الحفظ، محققاً، واسع الاطلاع على كتب اللغة وعلوم العربية وكان منقطعاً إلى الأمير أبي الجيش مجاهد العامري. توفي بمدينة دانية بالأندلس سنة ٤٥٨هـ.

له من المصنفات: كتاب «المحكم والمحيط الأعظم»، وهو معجم جرى فيه على نهج الخليل بن أحمد في كتاب العين من حيث ترتيب الألفاظ وفق مخارج الحروف، وكتاب «المخصص» وهو أوسع معجم للمعاني انتهى إلينا، وكتاب «الأنيق» في شرح حماسة أبي تمام و«شرح ما أشكل من شعر المتنبي»

الكتاب

بدأ ابن سيده كتابه بمقدمة حمد الله فيها وصلّى على نبيّه، ثم قال: أما بعدُ، فإن الله، عزَّ وجَلَّ، لمّا كرّم هذا النوع الموسوم بالإنسان، وشرّفه بما آتاه من فضيلة النطق على سائر أصناف الحيوان، وجعل له رسماً يميّزه، وفصلاً يبيّنه،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة.
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على جميع الأنواع فيحوزه، أحوجه إلى الكشف عمّا يتَصوَّر في النفوس من المعاني القائمة فيها، المدركة بالفكرة، ففتق الألسنة بضروب من اللفظ المحسوس ليكون رسماً لما تصوّره وهجَس من ذلك في النفوس، فيعلمنا بذلك أن اللغة اضطرارية، وإن كانت موضوعات ألفاظها اختيارية...»

والمقدمة طويلة تناول فيها موضوعات شتى منها: الألفاظ والمصطلحات، واللغة تواطؤ واصطلاح أو إلهام وتوقيف، وقد انتهى إلى القول الأول، ثم حدّ اللغة وتعريفها فهي أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم، ثم قال: «فلما رأيت اللغة على ما أريتك من الحاجة إليها لمكان التعبير عمّا نتصوّره وتشتمل عليه أنفسنا وخواطرنا أحببت أن أجرّد فيها كتاباً يجمع ما تنشّر من أجزائها شعاعاً، وتنثّر من أشلائها حتى قارب العدم ضَياعاً».

ثم ذكر أنه نظر فيما ألفه القدماء في هذه اللغة فوجدهم قد أتوا بها مفرقة غير ملتئمة، وقد قصروا في بعض الجوانب، ولذلك تاقت نفسه إلى جمع كتاب يشتمل على جميع ما وقف عليه، ثم ختم مقدمته بمديح مسهب لمن كلفه القيام بهذا العمل، وبذكر أسماء الكتب التي أخذ منها.

نص من كتاب المخصص في الأسنان: ص ١٤٦ من السفر الأول

«أبو حاتم: الضِرس، السِنّ، يُذكَر ويؤنث، وأنكر الأصمعي تأنيثه فأنشد قول دُكين:

فَفُقِئت عينٌ وطَنَّتْ ضِرسُ

فقال: إنما هو: وطَنّ الضِرس، ولم يفهمه الذي سمعه. والجمع: أضراس. الأصمعي: أضراس، أبو عبيدة: ضُروس، سيبويه: ضَرِيس، أبو عبيدة: أضراس العقل والحلم أربعة يخرجن من بعد ما يستحكم الإنسان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثابت: وقد يجعلون الأضراس كلها نواجذ، وأنشد:

يُباكِرْنَ العِضاه بمُقْنَعاتٍ نواجِذهنّ كالحِدَأ الوَقيعِ

أبو حاتم: المراكز: منابت الأسنان. ثعلب: المَوْرم: منبت الأسنان. ثابت: جماع الأسنان: الثَّنايا والرَّباعيات والأنياب والضواحك والطواحن (الأرحاء) والنواجذ، وهي اثنتان وثلاثون سِنّاً من فوق وأسفل - وهذا يخالف ما في النص الذي أوردته منه والظن أن الخطأ من الناسخ أوالمحقق - أربع ثنايا، ثنيتان من فوق وثنيتان من أسفل، ثم يلي الثنايا أربعُ رَباعيات، اثنتان من فوق واثنتان من أسفل، ثم يلي الرباعيات الأنياب، وهي أربعة، نابان من فوق ونابان من أسفل، ثم يلي الأنياب الضواحك، وهي أربع أضراس، إلى كل ناب من أسفل الفم وأعلاه ضاحك، ثم يلي الضواحك الطواحن والأرحاء، وهي اثنتا عشرة، في كل شدق ست: ثلاث من فوق وثلاث من أسفل، ثم يلي الأرحاء النواجذ، أربع أضراس، وهي آخر الأسنان نباتاً.».

ونحن نلاحظ أن تفصيل ذكر الأسنان وأسمائها وترتيبها يفضل ما نجده في المصادر الحديثة، فالعلماء المحدثون يجعلون للأسنان أنواعاً أربعة:

الثنايا Incisives، وعددها أربع من أعلى وأربع من أسفل، والأنياب Canines وعددها اثنان من أعلى واثنان من أسفل، وما قبل الأضراس Pr molaires وعددها أربع من فوق وأربع من أسفل والأضراس الطواحن Molaires وعددها ستة من أعلى وستة من أسفل. في حين أن العلماء واللغويين العرب جعلوا للأسنان ستة أنواع، لكل نوع اسم خاص به، فما أتوا به أدق وأكثر تفصيلاً مما أتى به العلماء المحدثون.

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net